الفصل الخامس

فردريك نيتشه.. والإنسان الأعلى

- ملامح شخصيته
- مجتمع العمالقة:
  ١ ـ الإلحاد.
  ٢ ـ دستور الحياة الاجتماعية.
  ٣ ـ الإنسان الأعلى.
  ٤ ـ الدورة الأبدية.
- تحليل وتعقيب:
  ١ ـ نظرة عامة.
  ٢ ـ ألوهية وألوهية.
  ٣ ـ ناموس الحياة.
  ٤ ـ تناسخ جديد.

ملامح شخصيته

أديب ثائر له فكر الفيلسوف وخيال الشاعر.

نادى بهدم الكنيسة وتقويض دعائمها وهو ذو النسب العريق في خدمتها..!! وتبنى الدعوة إلى الإنسان الأعلى ومجتمع العمالقة وهو العليل الذي لم يسلمْ موضع من جسده..!!.

ودعا إلى هجر الفلسفة وشكك في قيم العقل، حتى قذف بعقله إلى بركان الجنون فقضى فيه اثني عشر عاماً أسلمته إلى القبر!!. فما هي قصة ذلك العبقري الثائر والفيلسوف الشاعر؟!.

أسرته:

ولد «فردريك نيتشه» في بلدة «روكن» بألمانيا عام ١٨٤٤م، وصادف يوم مولده احتفالاً بمقدم وليد للأسرة الحاكمة هو «فردريك وليمام» الرابع، فاغتبط الأهل بهذه المناسبة السعيدة وأطلقوا عليه هذا الاسم تيمناً به.

وهو ينحدر من أصلاب لها تاريخ في خدمة الكنيسة، فأبوه قسيس وأجداده لأبيه وأمه قساوسة ورجال دين، وما بلغ فردريك الخامسة من عمره حتى فقد أباه فكفلته من بعده أيدي النساء، ومن أمه وعماته وأخته التي ظلت ترعاه حتى آخر لحظة من حياته، وقد أوصاها في إحدى نوبات مرضه بقوله[1]:

(١) قصة الفلسفة الحديثة د. أحمد أمين، د. زكي نجيب محمود جـ ٢ ص ٥٢١.

«عديني إذا مت ألاّ يقف حول جدثي إلاّ الأصدقاء، ولا يسمح بذلك للجمهور المتطلع، ولا تدعي قسيساً أو غيره ينطق بالأباطيل بجانب قبري في وقت لا أستطيع أن أدافع عن نفسي فيه، إني أريد أن أهبط إلى قبري وثنياً شريفاً!!».

دراساتـه:

تمتاز طفولة نيتشه بنزعة الجد ورغبة العلم وخشوع الإيمان، حتى أطلق عليه رفاقه في المدرسة «القس الصغير» و«المسيح في المعبد»، وبعد أن أتم دراسته الثانوية التحق بجامعة بون سنة ١٨٦٤ ليدرس اللاهوت، غير أنه ما لبث أن رغب عن تلك الدراسة وانصرف إلى الدراسات اليونانية واللاتينية.

وفي عام ١٨٦٥ عثر ـ بطريق المصادفة على كتاب «العالم كتصور وأرادة» لشوبنهور ووجده كما قال[1]: «مرآة طالعت فيها العالم والحياة بل وطبيعة نفسي مرسومة في جلال مخيف».

وخلال دراسته بجامعة بون أعجب بأستاذ في فقه اللغة يسمى «ريتشل» وعندما رحل إلى جامعة «ليبزج» انتقل معه نيتشه ليستفيد من دراساته العلمية، والتقى هناك بالموسيقي «فاجنر» وتوطدت الصداقة بينهما حتى وصفه نيتشه[2]: «بأن روحه تسودها مثالية مطلقة وإنسانية عميقة وفيها جلال رائع، وكل هذا يشعرني وأنا بالقرب منه بأني في حضرة إله!!».

وفي سن الرابعة والعشرين منحه أستاذه «رينشل» لقب «دكتور» وأوصى ـ به إلى جامعة «بال» بسويسرا قائلاً: إنه نابغة، فعين أستاذاً في فقه اللغة، وبقي في هذا الكرسي عشر سنوات انتهت باستقالته عام ١٨٧٩ لأسباب صحية.

---

(١) المصدر السابق ص ٥١٢.

(٢) نيتشه د. عبد الرحمن بدوي ص ٦٠.

مؤلفاته:

اتفقت كلمة الباحثين على أن فلسفة نيتشه تكمن في شخصيته وتاريخ حياته، وأن كل ما ذهب إليه من اتجاهات في الإنسان والمجتمع إنّما هو تمثيل صادق لنفس قلقة وفكر مضطرب وعواطف ثائرة.

وأول كتاب ظهر له هو «مولد المأساة من روح الموسيقى» سنة ١٨٧٢ وقد جمع فيه بين تشاؤم شوبنهور وموسيقى فاجنر، واعتبر التشاؤم وحده دليل الضعف والتدهور، والتفاؤل في المأساة هو صفة الرجل القوي الذي ينشد عمق التجربة واتساعها. وأعلن أن الشعب في قوته ينتج الأساطير والشعر، وفي تدهوره ينتج الفلسفة والمنطق. وناشد الشعب الألماني أن يبتعد عن الفلسفة وأن يستسلم للغرائز، وأن عليه أن يصلح الموسيقى كما أصلح الدين بقوة كقوة لوثر عسى أن تشهد ألمانيا عصراً حربياً يموج بالأبطال، فإن مولد المأساة من روح الموسيقى.

وقد استقبل هذا الكتاب استقبالاً سيئاً، ولم يعترف العلماء بقيمة أبحاثه في التراث اليوناني الذي حلله تحليلاً دقيقاً إلاّ في عام ١٩١٢ عندما رحب به أحد العلماء البريطانيين الكبار باعتباره «عملاً من أعمال البصيرة ذات الخيال العميق، أزاح إلى المؤخرة بحوث علماء جيل كامل حيث تركها هناك تتعثر»[1].

وتوالت مجموعة مؤلفات هي:

إنساني.. إنساني إلى أقصى حد سنة ١٨٧٨.

والفجر سنة ١٨٨١، والعلم المرح سنة ١٨٨٢.

إلى أن جاء كتابه «هكذا تكلم زرادشت» سنة ١٨٨٣ فكان إنجيل فلسفته تضمن أسسها في الألوهية والإنسان والمجتمع، بأسلوب شعري

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٣٧٥.

وبيان رمزي حتى اعتبره بعض الباحثين أروع ما كتب باللغة الألمانية على الإطلاق.

ثم أعقب ذلك بكتب أخرى مثل: ما وراء الخير والشر سنة ١٨٨٦ وأصل الأخلاق سنة ١٨٨٧.

وهناك كتب نشرت بعد وفاته أشهرها إرادة القوة، وأفول الأصنام وعدو المسيح، وها هو ذا الإنسان وهو آخر كتبه التي خطها في سنته الأخيرة من حياته العاقلة سنة ١٨٨٨ هذا ومن الشائع أن يقسم فكر نيتشه إلى مراحل ثلاث[1]:

١ ـ المرحلة الفنية الرومانتيكية التي تمتد من ١٨٦٩ ـ ١٨٧٦ وهي المرحلة التي كان نيتشه فيها واقعاً تحت تأثير شهوبنهور وفاجنر وتنتهي بتخلصه منهما.

٢ ـ مرحلة وضعية نقدية وتمتد من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢ وفيها تميز تفكير نيتشه بالتأثر بالمنهج العلمي، بعد أن تخلص من المؤثرات الرومانتيكية السابقة، وتلك هي المرحلة التي حرص فيها نيتشه على أن يوجه أعنف نقد إلى مقومات الحياة الإنسانية في العصر الحديث.

٣ ـ مرحلة صوفية خالصة تبدأ من كتاب زرادشت في ١٨٨٣ وتستمر حتى ١٨٨٨ وفيها يتميز تفكير نيتشه بالاستقلال التام، ويسير في طريقه الخاص ويتخذ أسلوبه شكل التدفق الصوفي لا التحليل النقدي.

نهايته:

ورث نيتشه عن أبيه مرض قصر النظر، حتى اضطر إلى الاستعانة بقارىء وكاتب ولما يتجاوز من العمر الخامسة والعشرين، وعندما التحق بخدمة الجيش عام ١٨٦٧ ـ رغم توسلاته من أجل الإعفاء منها لضعف

---

(١) نيتشه د. فؤاد زكريا ص ٤٣.

نظره وقيامه على أمر أسرته ـ حدث أن سقط من على ظهر جواده فأصيب في صدره وجنبه الأيسر مما عجل بخروجه من الجيش.

ولما نشبت الحرب بين فرنسا وألمانيا (١٨٧٠) اشترك فيها ممرضاً يقوم بإسعاف الجرحى ونقل القتلى وأصيب بالدوسنتاريا التي أوهنته سنين عديدة، وجعلته يستقيل من الجامعة ١٨٧٩ وقد اعتقد حينئذ أن نهايته أصبحت وشيكة فكتب إلى أخته في ١٨٨٠/١/١٦ يقول[1]:

«اعتقد أني أديت مهمتي في الحياة كما يؤديها رجل لم يمنح الفسحة الكافية من الوقت فإنه لا يزال لدي الكثير الذي أود لو أقوله، وفي كل ساعة أخلو فيها من الألم أشعر بأني غني بالأفكار».

ثم تواكبت عليه محن الأصدقاء باعتزالهم له، أو بنقده لهم بالإضافة إلى حالات وجدانية عنيفة وآلام مبرحة لا تلبث أن تودعه مصحة للأمراض العقلية.

وانتهت عبقريته عام ١٨٨٨.
ودفن جسده عام ١٩٠٠.

مجتمع العمالقة

تقمص نيتشه شخصية وهمية أطلق عليها اسم «زرادشت» استنطقها بكل فلسفته، وأورد على لسانها كل تأملاته بأسلوب نثري شاعر، ورمزي هادف..

ولعل نيتشه استهواه الحكيم الفارسي القديم «زرادشت» حتى اصطفاه راوية لفلسفته، ومما يؤكد هذا الظن أن كلا من زرادشت الحقيقي، والمزيف قد هبط وهو في سن الثلاثين من ذروة جبل كان يتخذها مقراً لاستلهام الحكمة وأخذ يذيعها في الناس...

(١) نيتشه ـ د. عبد الرحمن بدوي ص ١٠٠.

فقد حكى الشهرستاني[1]: «إن الزردشتيه يزعمون أن الله جعل روح زرادشت في شجرةأنشأها في أعلى عليين، وأحف بها سبعين من الملائكة المكرمين، وغرسها في جبل من جبال أذربيجان، ثم مازج شبح زرادشت بلبن بقرة فشربه أبو زرادشت فصار نطفة ثم مضغة في رحم أمه ثم لما ولد وبلغ الثلاثين سنة بعثه الله نبياً ورسولاً إلى الخلق».

هذا ويعتبر كتاب: «هكذا تكلم زرادشت»[2] إنجيل فلسفة نيتشه ولذا سنتخذه أساساً في عرض نظرية مجتمع العمالقة والإنسان الأعلى ونحاول أن نستخلص منه رأيه في القضايا الاجتماعية رغم غموضه ورمزيته واستطراد حواره وتعقيد مواقفه.

ويرتكز مجتمع نيتشه على عمد أساسية هي:

١ ـ الإلحاد والقضاء على أصنام الكنيسة وكهنوت رجالها.

٢ ـ دستور للحياة الاجتماعية يمجد القوة والمغامرة والسيادة.

٣ ـ الإنسان الأعلى هو أمل الإنسانية المرتقب.

٤ ـ الدورة الأبدية هي سنّة الوجود.

فإلى تفصيل ذلك:

* * *

أولاً: الإلحاد:

صادف زرادشت وهو هابط من عزلته قديساً يترنم بالأناشيد الدينية فقال في نفسه:

إنه لأمر مستغرب ألما يسمع هذا الشيخ في غابة أن الإله قد مات!!.

ومرة أخرى يصيح:

---

(١) الملل والنحل ـ تحقيق محمد سيد كيلاني جـ ١ ص ٢٣٧.

(٢) ترجمة: فليكس فارس سنة ١٩٣٨: ط المكتبة الأهلية ببيروت.

لقد مات جميع الآلهة ولم يعد لنا من أمل إلاّ ظهور الإنسان المتفوق.

* * *

ومن دراسة الحوار الطويل بين زرادشت وأتباعه والناس حوله تتجلى العوامل الكامنة وراء هذا الإلحاد، ويمكن أن نستخلصها فيما يلي:

١ ـ طلاسم الكنيسة وكهنوت رجالها الأوغاد، وقد عبر عن ذلك بقوله: انظروا إلى المساكن التي بناها هؤلاء الكهنة، وقد سموها كنائس وما هي إلاّ كهوف تنبعث منها روائح التعفن، وهل للروح أن ترتفع إلى مستواها تحت لألاء هذه الأنوار الكاذبة، وفي هذا الجو الكثيف حيث لا يسود إلاّ عقيدة تصِم الناس بالخطيئة، وتأمرهم بصعود درجات الهيكل زحفاً على الركب؟!.

إني لأفضل أن أنظر إلى اللحظات الفاحشة، من أن أرى هذه العيون أطبقت أجفانها معلنة خشوعها واستغراقها... ويستطرد في وصف الكهنة فيقول:

لقد أراد هؤلاء الكهنة أن يعيشوا كأشلاء الموتى، فسربلوا جثثهم بالسواد فإذا ألقوا مواعظهم انتشرت منها رائحة اللحود، إن من يجاور هؤلاء الناس فكأنما هو ساكن على ضفة الأنهار السوداء حيث لا يسمع إلاّ نقيق الضفادع الحزين.

٢ ـ العقيدة الخاطئة في المسيح عليه السلام التي نسجها أرباب اللاهوت، ولذا هاجمها نيتشه وساق عبارة غليظة على لسان ناسك اعتزل الحياة الدينية بعد موت الإله هي:

لقد كان إلهاً خفياً ملفعاً بالأسرار، وفي الحقيقة أن ابنه لم يأت إليه إلاّ عن الطريق الملتوي، لذلك كان الزنا مرحلة من مراحل الإيمان به..!!.

واتهم رجال الكنيسة بأنهم ابتدعوا أشياء سماوية ليخفوا رؤوسهم

في رمالهم، واخترعوا الدماء المراقة لافتداء البشر وأنهم مبشرون بالموت البطيء.

ويدعي زرادشت أن المسيح العبراني مات قبل الأوان، وما كان قد عرف غير موع قومه، وأحزانهم وكيد أدعياء الصلاح والعدل، ولذلك راوده فجأة شهوة الفناء، ولو أنه بقي في الصحراء بعيداً عن أدعياء الصلاح والعدل، لكان قد تعلم حب الحياة وحب الأرض، ولو أنه عمر كثيراً، لكان جحد تعاليمه لأن الرجولة الناضجة، أقدر على فهم الحياة والموت..

٣ ـ قصور العقل البشري عن إدراك الحقيقة الإلهية، ولذا اعتبر نيتشه أن جميع الآلهة رموز ابتدعها الشعراء، ودعا الإنسان ألاّ يتجاوز بتصوره حدود الحواس، ونادى بأن من الافتراءات على الإنسانية إقامة الواحد المطلق الذي لا يناله تحول ولا تغيير، ونصح من يطلب المعرفة ألاّ يتورط في معميات العقل.

٤ ـ إهدار قيمة هذا العالم الأرضي في سبيل العالم الآخر، والاستهزاء بالجسد من أجل إعلاء الروح.

ويرى نيتشه أن العالم الآخر، إنما هو اختراع المعذبين في الأرض وزفرات البائسين، وأن الإنسان في حقيقته جسد ليس غير وما الروح إلاّ كلمة أطلقت لتعيين جزء من هذا الجسد الذي هو مجموعة آلات متعددة لمعنى واحد...

* * *

ثانياً: دستور الحياة الاجتماعية:

المبدأ الرئيسي في هذا الدستور هو أن يهدم الناس كل قديم، وأن يقفوا أمام كل عقيدة هرمة ضاحكين مستهزئين.. فكل ما قدم للإنسان

حتى اليوم عن الخير والشر ما هو إلّا افتراض وتنجيم وأوهام صبيان، ولا تولد الحقيقة ـ عند نيتشه ـ إلّا من تزاوج الوقاحة وسوء الظن والرفض القاسي، والشقاق في الحياة، وما أصعب أن تتوافق جميع هذه المقدمات. . !!

وإذا تساءلنا في تحديد دقيق عن موقف نيتشه من قضايا معينة نجده يمجد القوة وينادي بالمغامرة ويطالب بالسيادة.

وإليكْ بعض الأمثلة. .

أ ـ العلاقات الاجتماعية:

لا رحمة بين الناس، والإحسان يخرج عزة النفس، ويولد الأحقاد لدى المحرومين، ومن استطاع أن يقتطف الثمار من دوحتي فليتقدم، فليس في الإقدام على الأخذ ما في قبول العطاء من مهانة. .

وأغرب من ذلك قول نيتشه:

إذا ما رأيتم متداعياً إلى السقوط فادفعوه بأيديكم وأجهزوا عليه، وكل إنسان تعجزون عن تعليمه الطيران علموه ـ على الأقل ـ أن يسرع بالسقوط. . !!

وأيضاً: لا يشير نيتشه بمحبة القريب، ويعتبرها أنانية مضللة؛ لأن هدفها إغواء القريب واحتواؤه، وكذلك ينفر من الصداقة ويقول:

دع الصداقة إذا كنت عبداً، وإذا كنت عاتياً فلا تطمح إلى اكتساب الأصدقاء.

وشعار المجتمع عنده هو اقتسام المظالم فمن يقدر على إرهاق الناس بظلمه فعليه أن يحتمل هو الظلم أيضاً، وليس من الإنسانية أن يترفع المظلوم عن الانتقام، ويقول في عبارة ضاحكة باكية:

إذا كان لكم عدو فلا تقابلوا شره بالخير؛ لأنه يستصغر بذلك نفسه

بل أكدوا له أنه أحسن بعمله إليكم، والأجدر بكم ألاّ تحتقروا أحداً، تظاهروا بالغضب.

وإذا وجهت اللعنة إليكم فلا يسرني أن تمنحوا البركة.

وإذا ما أنزلت بكم مظلمة كبيرة فبادروا المعتدي بمثلها وأرفقوها بخمس مظالم صغرى.

ب ـ المرأة والزواج:

يرى نيتشه أن المرأة ليست أهلاً للصداقة، فما هي إلاّ هرة وقد تكون عصفوراً وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة!.

ولا تعرف المرأة غير الحب إلاّ أن حبها ينطوي على تعسف وعماية تجاه من لا تحب، وإذا اشتغل قلبها بالحب فإن أنواره معرضة أبداً لخطف البروق في الظلام.

وخير للرجل أن يقع بين براثن سفاح من أن تحدق به أشواق امرأة جامحة ملتهبة.

ويقارن نيتشه بين الرجل والمرأة فيقول:

كل ما في المرأة لغز، وليس لهذا اللغز إلاّ مفتاح واحد هو كلمة «الحَبل» وليس الرجل للمرأة إلاّ وسيلة، أما غايتها فهي الولد.. ولكن ما تكون المرأة للرجل يا ترى؟.

إن الرجل الحقيقي يطلب أمرين: المخاطرة واللعب.

وذلك ما يدعوه إلى طلب المرأة فهي أخطر الألعاب!.

خلق الرجل للحرب وخلقت المرأة ليسكن إليها الرجل، وما عدا ذلك فجنون، ولا يحب المحارب الثمرة إذا تناهت حلاوتها فهو لذلك يتوق إلى المرأة؛ لأنه يستطعم المرارة في أشد النساء حلاوة!.

تفهم المرأة الطفل بأكثر مما يفهمه الرجل، غير أن الرجل أقرب إلى خلق الطفل من المرأة ففي كل رجل حقيقي يحتجب طفل يتوق إلى

اللعب، فلتعمل النساء على اكتشاف الطفل في الرجل!.

وإذا كان قلب الرجل مكمناً للقسوة فإن قلب المرأة مكمن للشر.

إن سعادة الرجل تابعة لإرادته، أما سعادة المرأة فمتوقفة على إرادة الرجل.

وإن روح المرأة سطحية فهي صفحة ماء متماوجة تداعبها الرياح في حين أن روح الرجل أعماق تزمجر أمواجها في المغاور السحيقة القرار، وقد تشعر المرأة بقوة الرجل ولكنها لن تفهمها.

وأخيراً يهمس نيتشه في أذن كل رجل:

إذا ذهبت إلى النساء فلا تنسى السوط!. فما يحرر المرأة من خلالها ليخلق منها المرأة الحقيقية إلاّ من تكاملت رجولته.

والآن ما هي فلسفة نيتشه في الزواج؟

استمع إليه وهو يجيب:

أنت في مقتبل العمر وتتمنى أن يكون لك زوجة وولد، ولكن قل لي هل أنت الرجل الذي يحق له هذاالتمني؟.

أأنت الظافر المنتصر على نفسه الحاكم على حواسه السائد على فضائله؟ أم أن تمنيك هذا ليس إلاّ شهوة حيوان أو خشية منفرد أو اضطراب من قام النزاع بينه وبين نفسه؟.

إن ما أريده منك هو أن تتوق بانتصارك وحريتك إلى التجدد بالولد إذ عليك أن تتطلع إلى ما فوق مستواك، وهل بوسعك أن تفعل إذا لم نكن متين البنية من رأسك إلى أخمص قدميك؟.

ليس عليك أن ترسل سلالتك إلى الأمام فحسب، بل عليك أن ترفعها إلى فوق.

عليك أن توجد جسداً جوهره أنقى من جوهر جسدك. وما الزواج

إلاّ اتحاد إرادتين لإيجاد فرد يفوق من كانا علة وجوده حتى فصل إلى الإنسان الأعلى:

ومن هذا المنطق يقرر نيتشه أن الزواج لا يبنى على الحب، وإنما خير الرحال لخير النساء، ويترك الحب للسوقة وحثالة البشر يتمرغون في دنسه ولدته البائسة، كما يقرّ نيتشه الزواج المؤقت حتى تتضح كفاءة الزوجين للاستمرار.

جـ ـ العلم والعلماء:

ينادي نيتشه بأن تكون التعاليم شامخة كذرا الجبال، وأن يكون لمن تلقن لهم قوة الجبابرة وعظمتهم؛ لأن الحكمة تريدنا أشداء مستهزئين فهي أنثى ولا تحب الأنثى إلاّ الرجل المكافح الصلب.

وينبغي ألاّ يعطى لكل إنسان الحق في أن يتعلم القراءة، فإن القارىء الكسول لا بدّ أن تتصاعد روائح النتن من تفكيره وليس من حق الغوغاء أن تقرأ وتكتب!.

وحمل نيتشه على الحكماء والعلماء والشعراء حملة قاسية.

فالحكماء خدموا خرافات الشعوب، وأوجدوا لأنفسهم عبيداً يلهون بضلالهم الصاخب عندما رفعوا شعار المذلة وهو «إرادة الحق» وتناسوا أن «إرادة القوة» هي جوهر الوجود وحقيقته.

واكتفى العلماء بأن يتفيأوا الظلال ولا يقتحموا المسالك التي تلهبها حرارة الشمس، وأن يفتحوا أشداقهم كي تنتشر منها روائح المستنقعات ويسمح منها نقيق الضفادع.

والشعراء يكذبون كثيراً، وخير ما نرى في تأملاتهم قليل من الشهوة وقليل من الضجر، وهم يعكرون جداولهم ليخدعوا الناس ويوهموهم أنها بعيدة الغور، وفكر الشاعر يطلب من يشاهده حتى ولو كان المشاهد جاموساً!.

د ـ الحكومة والشعب:

يعتقد نيتشه أن الحكومة لا تقوم إلاّ على أنقاض الشعوب، ولا تقول إلاّ كذبا ولا تملك إلاّ نتاج سرقتها واختلاسها، وهي الصنم الجديد الذي ينظر إليه قرود الشعب، ويتسلق بعضهم البعض الآخر، ويتدافعون متمرغين في الأوحال كي يتقربوا من العرش.

فالحكومة ـ في نظره ـ لا تسود إلاّ في مجتمع يوصف فيه الانتحار البطيء للحياة ولا ينتفع بها إلاّ الدخلاء العاجزون، ولن يظهر الإنسان الأصيل في الحياة إلاّ حيث تنتهي حدود الحكومات.

ومن جهة أخرى فإن نيتشه لا يثق في عامة الشعب، ويرى أن العظمة لا تكون إلاّ بعيداً عن ميدان الجماهير الذي يغص بالغوغاء المهرجين، ويصفهم بالحشرات السامة وطفيليات الأعشاب، ويشبه أصواتهم بطنين الذباب!.

وينصح نيتشه العمالقة بالعزلة على القمم، والأماكن القصية حتى يتبدد من حولهم كل شيء عراه الذبول إذ المبدأ المرفوع عنده:

لا مساواة بين البشر!.

* * *

هـ ـ السلام والحرب:

ويل للناس لو أن خبزهم يوزع مجاناً عليهم فإنهم لا يجدون من يصبون غضبهم عليهم، فبأي حديث يتحدثون إذا حرموا قسوة الحياة؟.

وقد صور نيتشه راوية فكره «زرادشت» يهزأ ببرد الشتاء القارس، ويفضل أن تصطك أسنانه برداً من أن يلجأ إلى الاستدفاء كما يفعل المخنثون، ويبدأ كل صباح بالاستحمام بالماء البارد ولا يأوي ليلاً إلاّ إلى فراش وضيع بسيط.

وهو يحب الدماء ويعشق من الألوان الأصفر القاتم والأحمر الفاقع ـ لأنه يوحي إليه بالدماء.

وينصح نيتشه الناس أن يسيروا على آلاف الطرق وآلاف المعابر، مسارعين نحو المستقبل فتنشأ بينهم الحروب وتتسع شقة التفاوت، ويجب أن يقيم الناس في أعماق سرائرهم مُثلاً عليا يجاهدون في سبيلها، فيسير الصالح والطالح، والغني والفقير، والرفيع والوضيع إلى التصادم بجميع ما في الأرض من نظم فتضطرم الحروب سلاحاً بسلاح ورمزاً برمز.

وإذا كانت هناك فترة سلام فلتكن وسيلة لتجديد الحرب، وخير السلام ما قصرت مدته... ولا يشير نيتشه بالسلام بل بالظفر، ويدعو إلى أن يكون العمل كفاحاً والسلام ظفراً فإنه لا اطمئنان في الراحة إذا لم تكن السهام مسددة، وما راحة الأعزل إلاّ مدعاة للثرثرة والجدل.

ثالثاً: الإنسان الأعلى:

إن أمل الإنسانية المنشود وغايتها الكبرى من الوجود هو أن تخلق كائناً يتفوق عليها، تجعله مستقرّ حبها ومكمن شوقها ومبعث كمالها..

ذلك هو «السوبرمان».

فما قصته؟

الإنسان ـ في نظر نيتشه ـ حبل منصوب بين الحيوان والإنسان المتفوق، فهو الحبل المشدود فوق الهاوية.

إن في العبور للجهة المقابلة مخاطرة وفي البقاء وسط الطريق خطراً وفي الالتفات إلى الوراء وفي كل تردد وتوقف خطراً في خطر.

ولتوضيح ذلك فإن نيتشه يرى أن كل الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه طبقاً لنظرية داروين، فالإنسان بدأ بالدودة ومر بالقرد، وهدفه الأعلى الذي لم يصل إليه بعد هو الإنسان العملاق.

وإنسان اليوم ـ لدى نيتشه ـ أعرق من القرود في قرديته ويريد أن يكون سدّاً يقف في وجه الموجة الكبرى في مدها بما اخترعه من أوهام وخرافات، وما يحيط به من ملذات سافلة وفضائل كاذبة، وما ابتلي به من المستهزئين بالجسد، المنذرين بالموت المأخوذين بالعالم الآخر.

وفي خطاب[1] لزرادشت ساق نيتشه ملامح هذا الإنسان الراقي ونلخصها فيما يلي:

١ ـ أيها الرجال الراقون! إن طبقة الشعب تنكر الإنسان الراقي فهي ترى الناس على اختلاف طبقاتهم إنساناً واحداً أمام الله، أما المساواة أمام الله فما لنا ولها ما دام هذا الإله قد مات، ولكن العامة كائنة ونحن نأبى المساواة أمامها، فأعرضوا عن العامة وابتعدوا عن ساحتها.

٢ ـ لقد مات الله ونحن نريد أن يحيا الإنسان المتفوق.

٣ ـ إن زعانف القوم هم سادة هذا الزمان الداعون إلى التجلد والصبر والتواضع وإلى ما هنالك من حقيرات الفضائل.

إنهم لأشباه الرجال يتصفون بصفات النساء، ويقودون الغوغاء طامحين إلى التسلط على مقدرات الدنيا.

أيها الرجال الراقون اعتلوا فوق هؤلاء الناس جميعاً، فإنهم ألد أعداء الإنسان المتفوق.

٤ ـ إن أعظم شر هو أعظم خير للإنسان المتفوق، وإن الدعوة إلى احتمال العذاب وحمل خطايا العالم كانت تليق بالطبقة الحقيرة بين البشر. أما الإنسان المتفوق فيسير بالخطيئة العظمى.

٥ ـ أيها الراقون!

أتعتقدون أن الإنسان الأعلى أتى ليصلح ما شوهتم بأخطائكم، أو ليهتم بتهيئة المراقد الوثيرة للمتألمين منكم، أو ليدل التائهين في

---

(١) من ص ٣١٥ إلى ص ٣٢٦.

الجبل على المغاور ليخرجوا من مآزقهم؟!.

لا بل يجب أن تتزايد آلامكم وشقاؤكم؛ لأن بالضيق وحده يتعالى الإنسان إلى الذرا.

٦ ـ إذا أردتم بلوغ الذرا فتسلقوها بأرجلكم، وقل لمن يمتطى جواداً ويسير خبباً نحو هدفه، لا تنسى أن رجلك العرجاء راكبة معك ولسوف تترجل في آخر الشوط فتهوي من ذروتك إلى الحضيض.

٧ ـ أيها الرجال الراقـون!

أنتم المبدعون ولا تحمل المرأة في أحشائها إلا ابنها.

اعرضوا عن كلمة «من أجل» وتناسوها؛ لأن فضيلتكم تتوقف على ألّا تفعلوا شيئاً من اجل أحد أو بسبب أحد أو لأية علة.. صمّوا آذانكم دون هذه الأدوات الكاذبة.

إن في أنانيتكم حزم الحبلى؛ لأن محبتكم تحيط بالثمرة التي لم ترها عين بعد.

٨ ـ ارفعوا قلوبكم إلى فوق، ولكن لا تنسـوا أرجلكم، إذ عليكم أن تـرفعوهـا أيضاً، وإذا أردتم إجـادة الرقص فعليكم ألّا تـأنفوا من الانقلاب على رؤوسكم.

رابعاً: الدورة الأبدية:

الإنسان الأعلى الذي يحلم به نيتشه ـ عندما يؤدي رسالته في الحياة ويكمل عمله المنوط به يحق له أن يموت ظافراً ويتقدم للموت طائعاً. وهكذا يعتبر نيتشه الانتحار في الوقت المناسب موتاً مقدساً، ويلي هذه الميتة الفضلى في المرتبة ميتة من يسقط في المعركة وهو يقتحم الحصون ويحطم القيود.

أما الميتة الشوهاء فهي الميتة الطبيعية التي تزحف كاللص، وتتقدم كالسيد الآمر المطاع.

بقي نوع آخر من الموت وهو الموت العاجل الإرادي للضعفاء والمرضى وذوي العاهات نقذف بهم بعيداً عن الحياة؛ لأنهم لا يصلحون لها.

ولكن ما هو المصير الإنساني بعد الموت؟

يقدم نيتشه نظرية تقول:

كل موجود الآن قد وجد من قبل، والكل يذهب والكل يرجع، وعجلة الكون تدق هكذا من الأزل إلى الأبد فالإنسانية قد وجدت من قبل مراراً لا عدد لها، ومعها جميع الأشياء التي حولها والأرواح تفنى كما تفنى الأجسام، والجميع إلى العدم ثم تتجدد الحياة بعينها إجمالاً وتفصيلاً، وتظل شبكة العلل الدائرة في الخلق المجدد للحياة كلها، ويصبح الانتهاء عودة إلى الابتداء.

وفي أدب رمزي قدم نيتشه فلسفته كلها في نشيد دقات الساعة وهو[1]:

١ ـ أيها الإنسان كن على حذر!.
٢ ـ ماذا يقول نصف الليل في غوره؟
٣ ـ لقد نمتُ. لقد نمت.
٤ ـ ثم أفقت من حلم عميق.
٥ ـ إن العالم عميق.
٦ ـ وهو أعمق مما يعتقد النهار.
٧ ـ وآلامه عميقة.
٨ ـ وأفراحه أعمق من أحزانه.
٩ ـ يقول الألم: اعبر وغادر الحياة.
١٠ ـ ولكن الأفراح تطلب الأبدية.

---

(١) راجع ص ٢٦٠، ٣٥١ من هكذا تكلم زرادشت، ص ٣ من «نيتشه» د. عبد الرحمن بدوي.

١١ ـ تطلب الأبدية العميقة.

١٢ ـ تطلب الأبدية العميقة. (صمت).

فالليل هو: ماضي الإنسانية الطويل، والحلم العميق: هو حضارة الإنسان وتراثه على مدى القرون، والعالم العميق: هو أسرار الكون وقيم الإنسان الجديرة بالاعتبار.

وهو يشير بالنهار إلى المتفائلين، فالحياة ليست ألماً محضاً كما ظن المتشائمون، وليست سروراً دائماً كما وهم المتفائلون، بل شعارها التفاؤل في المأساة، ومن صراع الألم والسرور تدق الساعة وقتها الأخير وهو صمت الموت وتنتهي دورة الحياة يعقبها ابتداء لتلك الدورة بعينها استمراراً للوجود والعود الأبدي.

تحليل وتعقيب

أ ـ نظرة عامة:

اتفقت كلمة الباحثين على أن نيتشه هدم ولم يبن فنقسمت فلسفته إلى جانبين:

١ ـ جانب سلبي ضاق ذرعاً بعقائد الكنيسة وأخلاق العبيد وغوغاء العامة.

٢ ـ جانب إيجابي تمثل في «السوبرمان»، تلك النظرية التي لم تنهض بتقديم تصور عام يمكن تطبيقه لبناء مجتمع ما.

وقد عبر عن ذلك المعنى «يسبرز» في كتابه «نيتشه والمسيحية» بقوله[1]: «والواقع أنه لا يهدينا إلى الطريق ولا يعلمنا اعتقاداً ما، ولا يضعنا على أرض صلبة بل هو لا يتركنا نستريح قط، ولا يكل من تعذيبنا، وهو يطردنا من كل مأوى نلجأ إليه وهو يمزق كل قناع».

(١) المذاهب الوجودية من كيركجورد إلى سارتر ـ تأليف ريجيس جوليفيه، ترجمه فؤاد كامل ص ٦٤.

هذا ويعتبر نيتشه أحد المنابع الرئيسية في الفكر الوجودي لأسباب أهمها:

١ ـ إن فلسفة نيتشه ما هي إلاّ ترجمة أمينة لحياته كلها، مما يؤكد الأصل الوجودي القائل بارتباط الفكر بالحياة، وتوقف فهم كل منهما على الآخر.

٢ ـ إبراز الجانب العدمي من الحياة وخاصة قول نيتشه بأنواع الموت المختلفة من إرادي وطبيعي وعاجل وتفضيله الموت الإرادي لمن أدى رسالته.

٣ ـ إخلاص نيتشه للأرض وتمسكه بها واعتبارها الملكوت الأعلى الذي يسعى الإنسان لامتلاكه.

٤ ـ إبراز نيتشه لفلسفة القوة وإرادتها وإعلاؤه من قيمة إنسانه الراقي.

كذلك فإن مدرسة التحليل النفسي تعتبره من روادها الذين مهدوا لها؛ لأنه سبر أغوار النفس البشرية، وأظهر كثيراً من خفاياها وعلل كثيراً من أحوالها، وقد قال فرويد[1]:

«إن تنبؤات نيتشه ولمحاته الثاقبة تتفق على أعجب نحو ممكن مع النتائج التي وصل إليها التحليل النفسي بعد كثير من العناء».

ومن جهة أخرى فإننا نستطيع أن نرد فلسفته إلى مجموعة مصادر هي:

١ ـ الفلسفة اليونانية وقد تعمق في دراستها وخاصة في كتابه «مولد المأساة من روح الموسيقى» وعرض لعصورها الفكرية في تحليل دقيق وتعقيب نتشوي.

٢ ـ دراسة لتاريخ الملل والنحل وأول ما يؤكد هذا المعنى هو اختياره لاسم

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٣٧٥.

«زرادشت» عنواناً لإنجيل فلسفته، بالإضافة إلى تعمقه في النصرانية التي هدمها بعنف، واليهودية التي استهزأ بها، وما قالوه بالعَوْد السرمدي إلاّ أثر من آثار الفكر الصابئي، وقد رجح بعض الباحثين أنه سمع عن الإسلام وسيأتي توضيح تلك النقطة.

٣ ـ نظرية داروين في أصل الأنواع، وقد اتخذها أساساً لفلسفته في الإنسان الأعلى وكذا تشاؤم شوبنهور الذي جعله أحد جناحي فلسفته، وإلحاد ماركس الذي افتتح به فكره.

ب ـ ألوهية وألوهية:

وصف بعض الباحثين إلحاد نيتشه بأنه كفر أقرب إلى الإيمان وذلك؛ لأنه وإن كان قد أعلن موت الإله ونادى بملكوت الأرض، وزها بقوة الإنسان الأعلى إلاّ أنه لم يجعل المصير الإنساني عدماً، ولم يختم قصة الإنسانية الكبرى بالقبر بل أكد الخلود الإنساني في صورة العَوْد السرمدي.

ونحن نرى أن الإلحاد التشوي يقع وزره على عاتق الكنيسة ورجالها، الذين حرفوا الكلم عن مواضعه واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ولَبَسوا الحق بالباطل وضلوا عن سواء السبيل، وذلك واضح من فلسفة نيتشه وكتبه التي خلفها حتى لقد سمّى نفسه «عدو المسيح».

ويبدو أن نيتشه قد سمع عن الإسلام وأعجب به ـ شأنه شأن روسو وكافة الذين تمكنوا من دراسة الإسلام، أو وصل إلى سمعهم شيء عن عقائده ومنهاج تشريعه.

وفي كتاب «هكذا تكلم زرادشت» نشيد بعنوان: بين غادتين في الصحراء ـ يضم بين سطوره إشارات موحية إلى الإسلام ونبي الإسلام، ويعتبره المخلص للإنسانية عامة ولأوروبا خاصة، تلك الهرمة التي تكدر جوها الغيوم، وترهقها أشجانها، وتمثل نيتشه في هذا النشيد بجو

الصحراء، ونسمات الشرق، وتمر الواحات، وظلال النخيل. . . . وتلك صورة رمزية لمهبط الوحي وملتقى الرسالات الإلهية في الشرق العربي.

وجاء في تقديم زرادشت للنشيد قوله[1]:

لأصدقن القول، لقد راقني مرة مثل هذا الشميم من قبل عندما أنشدت ما أوحي إليّ بين غادتين في الصحراء، حين ملأت صدري من نسمات الشرق المشبعة عطراً في صفائها، وأنا بعيد عن أوروبا الهرمة، تكدر جوها الغيوم وترهقها رطوبتها وأشجانها.

ذلك زمان عشقت فيه غادتي الشرق في صحرائه، فهنالك سماء غير هذه السماء، لا تتلبد فيها الغيوم ولا تعتكر على أديمها الأفكار، إنكم لأعجز من أن تتصوروا سحر هاتين الغادتين وهما معرضتان عن الرقص جالستان، وفي سكونهما أجمل حركات الفنون، وقد كمن الفكر في صدرهما فكأنما أسرار وألغاز تتماوج أشكالاً وألواناً فلا يعروها قتام.

بعد هذا التقديم الجميل المعبر ساق نيتشه نشيده وهو:

إن الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء.

يا للمهابة!!.

يا للبداية تليق بمهابة صحراء أفريقيا!.

تليق بأسد أو نذير يهيب بالناس إلى مكارم الأخلاق.

إنها لروعة لم تسلط عليكما يا صديقتيّ عندما أتيح لي أنا ابن أوروبا أن أجلس عند أقدامكما تحت ظلال النخيل.

حي على الصلاة!!.

يا للعجب!!.

أراني ماثلاً أمام الصحراء ولكني عنها جد بعيد، وما ابتلعتني

(١) ص ٣٣٢ من هكذا تكلم زرادشت.

الواحات الصغيرة بل انفرجت أمامي كأطيب الثغور نكهة فارتميت فيها، وهأنذا عند أقدامكما يا صديقتيّ العزيزتين.

حي على الصلاة!!.

إنني أمجد تلك الواحة إذا كانت عززت من نزل فيها.

وأنتما تدركان ما رموزي من الحكمة.

طوبى لأحشائها إذا كانت كهذه الواحة ولكنني أشك في ذلك، فأنا قادم من أوروبا أشد العرائس جحوداً.

أصلحها الله إنه السميع المجيب.

هأنذا جالس في ظلال أصغر الواحات، فما أشبهني بثمرة سمراء مذهّبه تتشوق إلى ثغر كاعب يفتر عن أسنان محدّدة ناصعة كالثلج، وهل تحلم قلوب التمر الملتهبة إلاّ بمثل هذه الثغور.

حي على الصلاة!!.

ما أشبهني بهذه التمور عند الظهر، تتطاير حولها الهَوام المجتمعات وتدور بي شهوات أصغر من هذه الهوام وأشد منها جنوناً وشراً، وإلى جانبي «دودو وزليخا» صامتتين كأبي الهول.

ويختم نيتشه هذا النشيد بقوله:

ارتفع يا مظهر الجلال ولتهب مرة أخرى نسمة الفضيلة.

ويا ليت أسد الفضائل يزأر أيضاً أمام غادات الصحراء، فزئير الفضيلة يا بنات الصحراء أقوى ما ينبه أوروبا ويحفز بها إلى النهوض.

هأنذا ابن أوروبا لا يسعني إلاّ الخشوع والانتباه لدوي هذه الآيات البينات.

وقد توكلت على الله..

إن الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء.

هذا وقد اتفقت كلمة المترجم «الأستاذ فليكس فارس»، مع كلمة أحد المتخصصين في فلسفة نيتشه «د. روبرت رينـنجر» على أن المرموز إليه بأسد الصحراء ونذيرها هو النبي محمد ﷺ[1].

ومن هنا فإن الدارس لتاريخ الإسلام وحضارة المسلمين يجد أصول رمزيات هذا النشيد واضحة جلية.

فامتداد الصحراء هو تعبير عن انتشار الإسلام واتساع رقعته، وصحراء أفريقيا هي مشرق الإسلام على أوروبا، فقد عبر طارق بن زياد المضيق المسمى باسمه الآن إلى الأندلس.

ولعل في تعبيرات: «مكارم الأخلاق، وأسد الفضائل، والآيات البينات، وحي على الصلاة، وإنه السميع المجيب، وتوكلت على الله» ما يظهر الأثر الفكري الإسلامي، ونستطيع أن ندرك من تعبير «أنا قادم من أوروبا أشد العرائس جحوداً» ما يشير إلى محاولات المسلمين لتطهير أوروبا ونشر أولوية الحق والعدل في ربوعها، ورد الفعل الأوروبي تجاه هذا الصنيع والذي سجلّه التاريخ تحت عناوين الحروب الصليبية والكشوف الجغرافية والاستشراق.

وأخيراً:

فإننا لسنا في حاجة إلى شهادة نيتشه أو غيره لإظهار حقيقة الإسلام وأحقيته في قيادة ركب الإنسانية، وإنما نحن نثبت قضية هي: إن العقل الأوروبي قد صدم بالكنيسة ورجالها ولو أنه تمكن من دراسة الإسلام عميدة وشريعة لألقى إليه السلم وعاش في كنفه سعيداً هانئاً.

جـ ـ ناموس الحياة:

إنه لأمر عجاب أن يصدر عن نيتشه دستور للحياة الاجتماعية مبني

(١) ص ٢٣ من مقدمة «هكذا تكلم زرادشت».

على إرادة القوة، والإجهاز على الضعفاء، ونزع الرحمة من قلوب الناس ـ وهو البائس المريض.

ألم يعلم أنه أول ضحايا فلسفته لو طبقت؟!.

ومن جهة أخرى فلا ندري أية قوة تلك التي يريد نيتشه أن يمتلكها الإنسان من مهده إلى لحده؟!.

إن ناموس الحياة قائم على أن الإنسان يمر بمراحل ثلاث هي:

١ ـ ضعف الطفولة والصبا.

٢ ـ قوة الشباب والرجولة.

٣ ـ ضعف الشيخوخة والهرم.

ولن تستطيع قوة في الأرض أن تهب للطفولة قوة الشباب، أو تحفظها في أرذل العمر.. قال تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعلَ مِنْ بَعْدِ ضعْفٍ قُوةً ثُمَّ جعلَ من بعدِ قوةٍ ضعفاً وشيبةً يخلُقُ ما يَشَاء وَهُوَ العَلِيم القَدِير ﴾[1].

وإن ذلك الإنسان المغرور بقوته لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً، وهو خاضع لعوامل التعرية ومقهور بعوارض الطبيعة، تؤلمه الشوكة وتقتله الغصة وتنتنه العرقة ويلهث في حر الشمس، وتصطك أسنانه في زمهرير الشتاء.

ثم خبرني بربك هل هناك تلازم حقيقي بين الجسم السليم القوي البنية من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ـ على فرض وجوده ـ وبين الكمال العقلي وحسن التفكير وسداده؟!.

ألا ترى معي أن هناك أجسام البغال تحمل أحلام العصافير؟!.

إن الإسلام لا يمقت القوة، بل المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من

---

(١) سورة الروم، آية: ٥٤.

المؤمن الضعيف، ولكنها قوة لنصرة الضعفاء، والذود عن الحمى، والدفاع عن المقدسات في العقيدة والعرض والمال، قال تعالى: ﴿وما لكُمْ لا تقاتِلُونَ في سبيلِ اللَّهِ والمستضعَفينَ منَ الرجالِ والنّساء والوِلْدان﴾[1].

وإن مجتمع العمالقة ـ كما تصوره نيتشه ـ لهو أدنى منزلة من مجتمع الجاهلية، فقد تعاقدت قبائل قريش وتعاهدوا على ألاّ يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم ممن دخلها من سائر الناس، إلاّ قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد إليه مظلمته، وسُمّي ذلك بحلف الفُضول وقد شهده الرسول ﷺ قبل البعثة وقال عنه بعدها:

«لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حِلفاً ما أُحبُّ أنَّ لي به حُمر النعم ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت».

وإن مجتمعا يقتسم المظالم وتنزع منه الرحمة، ويرفع فيه السوط على جنسه اللطيف، ويشهر فيه السلاح دائماً، ويتربص الدوائر بغيره لهو مجتمع يتضاءل دونه مجتمع الغاب، ويسمو فوقه مجتمع الجاهلية.

ولقد عانت الإنسانية كثيراً من مثل هذا الغرور الأحمق وتلك الأنانية العمياء، وأقرب صورة لذلك الحرب العالمية الثانية بقيادة «هتلر» الزعيم الألماني الذي تبنى نظرية «السوبرمان» واشتعلت حرب ضارية أكثر من خمس سنين شملت أركان الأرض، وأهلكت الحرث والنسل إلاّ أنها انتهت بهزيمة السوبرمان هزيمة منكرة.

د ـ تناسخ جديد:

نظرية العود السرمدي مجرد خيال طرأ على عقل نيتشه، فاتخذه أساساً لفلسفته، ولم يقدم دليلاً عليه ولا حاول أن يناقشه.

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٥.

ولو أننا تتبعنا الفكر التناسخي لوجدنا أصل القضية مدونا فيه، فما هو الفكر التناسخي إذن؟!.

التناسخ في اللغة:

التناسخ والمناسخة في الميراث موت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم.

وتناسخ الأزمنة تداولها وانقراض قرن بعد قرن، وبلدة نسيخة ـ بفتح فكسر ـ ونسخية ـ بضم ففتح ـ بعيدة، ونسخه ـ كمنعه ـ أزاله وغيره وأبطله وأقام شيئاً مقامه.

المعنى الاصطلاحي:

التناسخ في عرف القائلين به: رجوع الروح بعد موت البدن إلى العالم الأرضي متلبسة بجسد جديد.

وهو أنـواع[٢]:

١ ـ النسخ وهو رجوع الروح إلى بدن إنساني آخر.

٢ ـ المسخ وهو رجوع الروح إلى بدن حيواني جديد.

٣ ـ الرسخ وهو رجوع الروح إلى جسم نباتي.

٤ ـ الفسخ وهو رجوع الروح إلى جسم جمادي.

القائلون بالتناسخ:

أصل التناسخ نشأ من فرقة من الصابئة تسمى «الحرنانية» قالوا ـ كما حكى الشهرستاني[١]: «إن التناسخ هو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها، والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية، فالراحة والسرور والفرح

---

(١) شرح المواقف جـ ٨ ص ٣٠٠

(٢) الملل والنحل ـ تحقيق كيلاني جـ ٢ ص ٥٥.

والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر التي سلفت منها في الأدوار الماضية، والغم والحزن والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا، وكذا كان في الأول وكذا يكون في الآخر والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم».

ويعنون بالأكوار والأدوار أن الحياة تجدد نفسها كل فترة معينة، قدروها بستة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنة يوجد فيها من كل زوجين اثنين، فإذا انقضى الدور انقطع التناسل والتوالد ويبتدىء دور جديد من الإنسان والحيوان والنبات وكذلك أبد الدهر فلا بعث ولا قيامة ولا دار سوى هذه الدار.

وقد كان للبراهمة دور كبير في إشاعة التناسخ فالقول به من أخص عقائدهم، وكذلك من فرق الثنوية من يقول به وإن الإنسان أبداً في أحد أمرين[1]:

١ ـ إما في فعل.

٢ ـ وإما في جزاء.

وما هو فيه فإما مكافأة على عمل قدمه، وإما عمل ينتظر المكافأة عليه والجنة والنار في هذه الأبدان، وأعلى عليين درجة النبوة وأسفل السافلين دركة الحية فلا وجود أعلى من درجة الرسالة ولا وجود أسفل من دركة الحية، ومنهم من يقول الدرجة الأعلى درجة الملائكة والأسفل درجة الشيطان.

هذا وقد أثرت هذه الأفكار في المحيط الإسلامي فمن فرق الشيعة الهاشمية من يرى أن الأرواح تتناسخ من شخص لآخر، سواء أكان من بني آدم أو من الحيوانات، وأن روح الله تناسخت حتى وصلت إلى أمامهم وحلت فيه، وقال بذلك أحمد بن حابط وأحمد بن فانوس وأبو مسلم

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ٢٥٤.

الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب وقال: لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح عن الأجساد المتصورة بالصور البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان إلّا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة[1]، من هذا العرض السريع نرى أن القائلين بالتناسخ اتفقوا على الآتي:

١ ـ الروح غير البدن.

٢ ـ البدن يفنى ويندثر وتعود الروح إلى بدن آخر سواء كان إنسانياً أو حيوانياً أو نباتياً أو جمادياً.

٣ ـ الإيمان بالثواب والعقاب على كل ما يصدر من الإنسان.

٤ ـ الحياة الدنيا هي دار التكليف والجزاء معاً، وليست هناك حياة أخرى.

فإذا قارنا هذه الأمور بفكر نيتشه عن العود السرمدي اتضح أن هناك اتفاقاً واختلافاً.

فهو يلتقي مع التناسخية في:

١ ـ القول بالخلود الإنساني، واستمرار الحياة من الأزل إلى الأبد من غير انقطاع.

٢ ـ الولاء للأرض واعتبارها الملكوت الأعلى.

ويختلف معها في:

١ ـ الإلحاد وإنكار الثواب والعقاب.

٢ ـ اعتبار الإنسان هو هذا الهيكل الجسدي من غير تفرقة بين روح وبدن.

٣ ـ عودة الأشياء عند نيتشه هي بعينها من غير تبدل وتقمص جوهر لجوهر آخر...

هذا وإن قصة الحياة الإنسانية في دابرها ومستقبلها لا يمكن أن تؤخذ هكذا من أفواه الناس كأحدوثة عجيبة، أو رواية طريفة بل لا بدّ من إلقاء

---

(١) راجع الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٩٠، والملل لشهرستاني جـ ١ ص ١٥١.

السلم لباريء الحياة وخالق الأحياء يقص الحق وهو خير الفاصلين:

وقد حكى القرآن الكريم استحالة عودة الإنسان إلى الدنيا مرة أخرى وصورها في صور بيانية رائعة:

ففي سورة الأنعام يصور القرآن مشاعر المكذبين حين واجهوا المصير السيء فيقول: ﴿ وَلو تَرىٰ إذْ وُقِفُوا على النّارِ فقالُوا يا ليتَنا نُردُّ ولا نكذِّبُ بآياتِ ربِّنا ونكون من المؤمنين ﴾.

ثم يفصح عن حقيقة نفوسهم التي استحكم فيها الفساد فيقول: ﴿ بلْ بدا لهمْ ما كانوا يُخفُون مِنْ قبلُ ولو ردّوا لعادُوا لِما نهُوا عنهُ وإنَّهم لكاذبون ﴾ وأبعد من ذلك لو ردوا لأنكروا ما عاينوه في ذلك الموقف الصعب، وتشبثوا بالحياة الدنيا ونسوا الآخرة: ﴿ وقالوا إنْ هِيَ إلّا حياتُنا الدُّنْيَا وما نحنُ بمبعوثين ﴾. فقد جعل بعض المفسزين هذا القول معطوفاً على جواب «ولو ردوا» وهذا ملحظ دقيق. . !!

وفي سورة «المؤمنون» نرى مشهداً لهؤلاء عند الموت: ﴿ حَتّى إذا جَاءَ أَحَدهُمْ الموتُ قالَ ربِّ ارجعُونِ لعلّي أعملُ صَالِحاً فيما تركتُ ﴾.

ثم تبين أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد كلمة جوفاء لا مضمون لها، ولا رجاء فيها:

﴿ كلّا إنّها كلمةٌ هوَ قائلُها ومن ورائِهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون ﴾.

وتسير بنا الآيات حتى نلمحهم: ﴿ تَلْفَحُ وجوهَهُم النّارُ وهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾.

ونسمع التقريع لهم:

﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تتلى عَليكُمْ فكنتُمْ بها تكذّبون ﴾؟!.

فيقدمون الاعتراف ويتبعونه برجاء أن يعودوا إلى الدنيا.

﴿ قَالُوا رَبّنَا غلبتْ علينا شِقوَتَنا وكنّا قوماً ضالّين. ربّنا أخْرِجْنَا مِنْهَا فَإنْ عُدْنا فإنَّا ظالِمُون ﴾.

والنهاية التي لا مفر منها ولا وزر:

﴿ قالَ اخسِؤُوا فيها وَلا تُكَلِّمُون ﴾.

وسورة «فاطر» تقدم مشهداً من مشاهد العذاب:

﴿ وَالّذِين كَفَرُوا لهُمْ نارُ جهنَمَ لا يُقضىٰ عليهمْ فيمُوتُوا ولاَ يُخفَفُ عنهُمْ من عَذَابِهَا كَذلِكَ نَجْزِي كلَّ كفورٍ وهم يصطرخونَ فيها ربَّنا أَخْرِجْنا نعمل غيرَ الذيَ كُنّا نعملُ ﴾.

والجواب الحاسم أنه قد أُعذر من أنذر:

﴿ أَوَ لَمْ نُعمِّركُمْ مَا يَتذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَما لِلّظَالِّمين مِنْ نَصِيرٍ ﴾.

* * *

الخاتمة

والآن وقد وصلنا إلى مشارف القرن العشرين يحق لنا أن نلقي عصا التسيار من مشاق رحلة طويلة استغرقت خمسة وعشرين قرناً، وطوفت بين جبال اليونان وأوديتها، وحواضر العالم الإسلامي وباديه، وعواصم أوروبا وكبريات مدنها.

وقد تأكدت لي حقيقتان ينبغي لدارس الفلسفة أن يعيهما جيداً:

الأولى: أنَّ تاريخ الفلسفة سجل حافل للكفاح العقلي من أجل الحياة، ممثلة في حقائق الوجود الكبرى ومكانة الإنسان في الكون حوله، ومنهج المسيرة البشرية نحو السعادة.

ذلك هو هدف الفلسفة الذي عبرت عنه مذاهبها في صيغ مختلفة، وتجلى بصورة واضحة القسمات في ظاهرة المجتمع المثالي، تلك الظاهرة التي تمثل قمة الفكر الفلسفي وذروة سنامه، وتعتبر وثيقة تاريخية هامة للحياة الإنسانية.

الثانية: أنّ رسالة الفلسفة وقيمتها الأساسية هي فيما تقدمه من تساؤلات وما تثيره من مسائل، وما تنميه من فكر، ولا ينتظر منها حلول جذرية فالفلسفة بحث عن الحقيقة وليست هي الحقيقة بعينها، وهي روح وثابة وحوار دائم وتساؤل مستمر، قد يصل إلى الجواب وقد يبقى محتاجاً إليه.

ولعل من الخير أن نعرض لأصول القضايا التي حظيت باهتمام الفلاسفة خلال بحثهم عن المجتمع المثالي، والتي يمكن أن يتخذها دارسو الفلسفة موضوعات لأبحاثهم.

١ ـ الألوهية:

محور فلسفة أفلاطون هو عالم المثل وعلى قمته جوهر الخير الأعظم وصورته المثلى، وقد أكد أفلاطون ضرورة البدء في التربية بالاعتقاد بأن الله هو أصل كل خير، وهو الفائق جمالاً وسمواً وهو ذو الجلال والإكرام.

وبنى الفارابي مدينته على ركنين:

أ ـ عقائد.

ب ـ رئيس.

فهو يرى أن العقائد الصحيحة في الإله والكون والإنسان هي طريق بناء المجتمع وسعادة أفراده، ويشرف عليها ويتولى تطبيقها رئيس له من المؤهلات الفطرية والمكتسبة ما يجعله نبياً فيلسوفاً.

وعندما نصل إلى الفلسفة الحديثة نجد مظاهر إلحاد متنوعة تمثلت في شك مونتاني (١٥٣٢ ـ ١٥٩٢) والية هوبز (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩) ونقد العقل النظري لكانت (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) ونظرية التطور عند داروين (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) والمادية الجدلية التاريخية لدى ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) وإرادة القوة لنيتشه (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠).

وإني أُحمّل مسيحية القساوسة ـ كما سماها روسو ـ كل أوزار الفكر المادي الأوروبي، فإن الكنيسة وطلاسمها، ورجال الدين وكهنوتهم، هم الذين صدوا الناس عن الله وأضلوهم سواء السبيل، وما كان هذا الموقف المتطرف في الفكر المادي إلّا رد فعل لملل أخطأت المنهج الإلهي، ونحل أهدرت كرامة الإنسان.

ولو أن هؤلا جميعاً عرفوا الإسلام حق معرفته لخروا له سجداً، فهو دين الفطرة وتمتاز عقائده بالنضارة وسهولة المأخذ ويسر التناول كما قال تعالى: ﴿ ولقدْ يسّرنا القرآنَ للذّكر فهلْ مِنْ مّدكر ﴾ والصورة الكاملة للألوهية في بيان معجز هي: ﴿ قُلْ هُوَ الله أحدٌ، الله الصمدُ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفواً أحد ﴾.

إن التدين ضرورة تقتضيها الفطرة، وتحتمها مثل الأخلاق وقواعد السلوك، وتلمح عليها حضارة الإنسان، ويسبح بها الكون بأجمعه.

٢ ـ النبوة:

لم يعرف عن أفلاطون كلام في النبوة ولما جاء الفارابي جعلها من جنس المنامات وربطها بالعقل الفعال، بناء على نظرية وثنية هي نظرية العقول.

ومن البدهي أن الفكر المادي لا يحفل بالنبوة غير أنه من التناقض البين ما ذهب إليه روسو حين صرح باحترامه للأنبياء باعتبارهم عباقرة الزمان، ثم وصمهم بالكذب واختراع القوانين واستنطاق الذات الإلهية خداعاً لجماهير المؤمنين.

والحق أن عناية الله التي شملت الكائنات كلها، ورحمته التي وسعت كل شيء لجدير بها أن تتعهد الإنسان في أمر معاشه كما تعهدته في أمر خلقه.

وإن عقل الإنسان الذي هو مناط كرامته لفي أمس الحاجة إلى نور الله يمهد له الطريق ويقيم عليه المشاعل، ﴿ لِيهْلِكَ من هَلَكَ عَنْ بيّنة ويحيا مَنْ حيّ عنْ بيّنة ﴾.

وإن تاريخ الرسالات الإلهية لا يمكن أن يكون خيال شاعر، أو وهم فيلسوف أو حيلة ذكي أريب، بل هو الحق في أجلى صوره وأصدق معانيه

﴿ وَما قدَروا اللَّهَ حقَّ قَدرِهِ إذْ قالوا ما أنزلَ اللَّهُ على بشرٍ من شيء ﴾[1].

٣ ـ التربية:

اهتم أفلاطون بالتربية حتى قد وصفت جمهوريته بأنها أجمل سفر في التربية خرج من يد بشر، والمنهج الأفلاطوني قائم على شقين:

أ ـ التربية عن طريق الفن وتشمل مناهج الموسيقى والتمثيل والرياضة والصحة.

ب ـ التربية عن طريق العلوم وتشمل الرياضيات والطبيعيات والمنطق والفلسفة، وهو يستوعب الحياة من مهدها إلى لحدها.

ولكن الفارابي لم يقدم منهجاً للتربية ولا نظاماً للحياة، وجعل مرد الأمر كله إلى الفيوضات التي يتلقاها الرئيس عن العقل الفعّال.

وقدم روسو منهجاً تربوياً للطفل من المهد إلى الرشد، اهتم باحترام طبيعة الطفل وتزكية ميوله الفطرية، ومنحه حرية الملاحظة والتجربة، وألزمه بالحِرف اليدوية والسياحة، ولكنه لا يخلو من نقائص تبعده عن مهمة الإصلاح، وسذاجة تنأى به عن محاولات التطبيق، ويحق لنا ـ معشر المسلمين ـ أن نفاخر الدنيا بما حبانا الله من نعمة الكتاب المبين والهدي النبوي الكريم، فالإسلام ينفرد بأن عنايته بالطفل تبدأ قبل ميلاده، حيث يحثّ على اختيار الأصل وانتقاء الأورمة، كي يتوفر للطفل البيئة الصالحة والقدوة الطيبة، وينهى عن إتيان النساء في المحيض أو بصورة غير مشروعة، وذلك ليبعد عن الأبوين مهالك الضعف والمرض ثم يتدخل الإسلام في اختيار اسم المولود حتى يكون حسناً، ويحتفل بمقدمه فيدعو إلى عمل وليمة يوم سابعه، ومن العجيب المدهش أن تكون التربية الرياضية

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩١.

دينا يرد النص المقدس بالحثّ عليها والقيام بها، ففي الحديث الصحيح: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً».

فإذا بلغ الطفل سبع سنين أُمر بالصلاة التي تتضمن عدة إشارات إلى جوانب هامة في حياة الطفل وهي:

أ ـ الطهارة والنظافة وهي تسبق الصلاة ولا تصح بدونها.

ب ـ الإيمان والفضائل حيث يرغب الطفل إلى الله ويقف على قيم الأخلاق.

جـ ـ الشخصية الاجتماعية حيث يشارك الطفل في الجمع والجماعات ويتعرف على الناس في المساجد.

٤ ـ الأسـرة:

إن أسوأ آراء أفلاطون هو ثالوثه الشيوعي في النساء والأولاد والملكية، وإن الضمير الإنساني ليهتز فزعاً حين يسمع بوحشية أفلاطون، وهو ينادي بترك المرضى للموت الزؤام، واغتصاب حق الحياة من المشوهين وذوي العاهات، ولعلنا لا ننتظر من روسو أيضاً نظرية قويمة في الأسرة وهو الذي نشأ نشأة سيئة وامتلأت حياته بالبؤس والشقاء، وتجرد من أبسط معاني الإنسانية حين ألقى بأولاده الخمسة في ملجأ اللقطاء.

ويقرر نيتشه أن الزواج لا يبنى على الحب وإنما خير الرجال لخير النساء، ويترك الحب للسوقة وحثالة البشر يتمرغون في دنسه ولذته البائسة، ويقرّ الزواج المؤقت حتى تتضح كفاءة الزوجين للاستمرار.

وليس غير الإسلام ديناً يجعل الأسرة سنة الأنبياء والصالحين وعبادة يتقرب بها إلى الله، ويحوطها بآداب اجتماعية نبيلة، وينظم العلاقة بين أفرادها في سمو روحي وطهر إنساني، ويجعل للمرأة زينة لا يراها أجنبي وللأولاد حق الحياة وحق الأدب، وللوالدين حق الطاعة وحق المعاشرة، ولذوي القربى والرحم حق الصلة والبر.

٥ ـ المـرأة:

الاحتمال المرجح لدى الباحثين هو أن أفلاطون كان يحمل مشاعر غير ودية للمرأة، وأنه لم يكن يدعو إلى المساواة التامة بين الرجل والمرأة تأكيداً منه لحقوق المرأة أو بدافع الشعور الإنساني نحوها، بل إن السياق العام لتفكيره يدل على أنه يرمي بطريق غير مباشر إلى القضاء على كل ما هو مميز للمرأة عن الرجل، وهو لم يفعل أكثر من إلزام لها بواجبات تنوء بحملها، في الوقت الذي حرمها فيه من عواطف الأمومة، وممارسة حقها الطبيعي في ذلك.

وألغى روسو أهلية المرأة وأهدر كرامتها، وجعلها على هامش الحياة، حيث حرمها من التعليم وأكرهها على العقيدة وسلبها إدارة شؤون حياتها، وأبقاها دَمية يستمتع بها الرجل.

ويرى نيتشه أن المرأة ليست أهلاً للصداقة، فما هي إلاّ هرة، وقد تكون عصفوراً، وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة، وقلب المرأة ـ في نظره ـ مكمن للشر، وكل ما فيها لغز، وينصح الرجل ألاّ ينسى السوط أذا ذهب إلى النساء!!..

وإذا استعرضنا تاريخ المرأة قديماً وحديثاً فلن نجد فلسفة أو مذهباً اجتماعياً أنصف المرأة وحرّرها كما فعل الإسلام، فما زالت المرأة الغربية إلى اليوم لا تملك أهلية التصرف في الأموال بغير إذن زوجها، وكل حريتها المزعومة محصورة في دائرة الانحلال والفاحشة.

إن الإسلام أحيا المرأة بعد أن كانت تُوأد، وجعل حقها القانوني مكفولاً بنص إلهي صريح تتصاغر أمامه كل التعبيرات القانونية هو قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مثل الَّذِي عليهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وللِرِجَالِ عليهنَّ درجة ﴾.

والواقع التاريخي يرشدنا إلى أن أول المؤمنين بالرسول ﷺ هي خديجة بنت خويلد، وأول الشهداء في الإسلام هي سُمَيّة أم عمار ابن

ياسر، وأول الأمناء على كتاب الله بعد جمعه في عهد الصديق أبي بكر هي حفصة بنت عمر استحفظت على كتاب الله إلى أن جاء عثمان بن عفان ونسخ المصاحف وأرسلها إلى الأمصار.

٦ ـ الحكم والقانون:

قسّم أفلاطون المجتمع إلى ثلاث طبقات هي الحكام والجنود والكادحون، وجزم بأن شقاء النوع الإنساني لن يزول ما لم يحكم الفلاسفة، أو يتفلسف الملوك: أي ما لم تجتمع القوتان السياسية والفلسفية في شخص واحد.

وأنشأ في مدينته إدارة قضائية تخص بخدماتها ذوي العقول السليمة في التوجيه الراشد والنصح السديد، أما الأشرار الفاسدون غير القابلين إصلاحاً فمصيرهم الإعدام، واكتفى أفلاطون بالتربية والتعليم في توجيه كافة نواحي الحياة من غير حاجة إلى قانون مكتوب، وقسم المجتمعات البشرية إلى نوعين: يونانية وبربرية، وجعل الأولى سيدة الثانية..!!.

وتقوم مدينة الفارابي الفاضلة على ضرورة العمران البشري وتعاون بني الإنسان وتحتاج إلى رئيس تجتمع فيه مجموعة خصال فطرية ومكتسبة، تمكنه من قيادة المجتمع نحو السعادة التي تنبع من صدق الاعتقاد في الإله والكون والإنسان.

وأطلق روسو اسم الجمهورية على كل دولة يحكمها قانون، أياً كانت صورة الحكم فيها وجعل الشعب هو صاحب السيادة بناء على نظرية العقد الاجتماعي...

ويمر المجتمع الشيوعي بمرحلتين:

أ ـ الإشتراكية.

ب ـ الشيوعية.

وتقوم المرحلة الأولى على ديكتاتورية الطبقة العاملة والإرهاب الأحمر، والقمع المستمر والقضاء نهائياً على الملكية الخاصة.. ومن خلال العمل المستمر لتعميق الفكر المادي واجتثاث الفروق الطبقية والحفاظ على مستوى عال من العنف، وتوفير الثروة المادية يصل المجتمع إلى المرحلةالتالية، وهي الشيوعية، وفيها تندثر الدولة ونظمها القانونية وإدارتها التنفيذية، وتصبح الهيمنة للشعب بأجمعه ويتوفر لكل إنسان مطالبه المادية..

ويرتكز مجتمع نيتشه على عمد رئيسية هي:

أ ـ الإلحاد والقضاء على أصنام الكنيسة وكهنوت رجالها.

ب ـ دستور للحياة الاجتماعية يمجد القوة والمغامرة والسيادة.

جـ ـ الإنسان الأعلى هو أمل الإنسانية المرتقب.

د ـ الدورة الأبدية هي سنة الوجود.

والإسلام ـ وحده ـ هو الذي يجمع فضائل الفلسفة ويتجاوز زلاتها ويضفي عليها الكمال الإلهي... فالدولة الإسلامية ذات رسالة تتحمل تبعات تطبيقها وتبليغها، والإسلام هو الحدّ الذي تنتهي إليه إرادة الشعب وسلطة الحاكم، ودعائم الحكم هي الشورى والعدل، والحكم لا يورث، وللحاكم مؤهلات من علم وعدل وكفاءة..، وأهل الحل والعقد هم الذين يوكل إليهم أمر اختيار الحاكم ويمتازون بصدق العقيدة وحسن المشورة، والبصر في المصالح الاجتماعية، والقدرة على الاجتهاد.

والإنسانية ـ في نظر الإسلام ـ ذات أصل واحد، ولا فضل لعربي على عجمي إلّا بالتقوى.

٧ ـ المجتمع العالمي:

لم يعرف أفلاطون المجتمع العالمي أو الدولة العالمية واكتفى بدولة المدينة، واعتبر الفارابي أن أعظم أنواع الاجتماع هو اجتماع الإنسان في

المعمورة قاطبة، ونادت الماركسية بالأممية البروليتارية.

والمجتمع العالمي كفكرة ـ راودت كثيراً من الزعماء ابتداءً من الإسكندر المقدوني قبل الميلاد إلى هتلر الألماني في التاريخ المعاصر.

والمجتمع العالمي كتطبيق ـ تحقق على أيدي الدولة الرومانية في القديم واكتفى بهيئة الأمم المتحدة في الحديث.

ومن الدراسة النزيهة نرى أن المجتمع العالمي ـ كفكرة ـ لم تتصف بالنبل وسمو الهدف إلاّ في الإسلام الذي بعث رسوله محمد ﷺ رحمة للعالمين يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث.

ولم يتجرد المجتمع العالمي ـ كتطبيق ـ من العنف والإكراه، ولم يتخل عن الاغتصاب والنهب، إلاّ في ظل الخلافة الإسلامية الراشدة التي فتحت القلوب قبل أن تفتح البلاد.

وإن الكلمة التي قامت عليها حضارة الإسلام، وقهرت كل الطواغيت والأصنام من جاهلية وكسروية وقيصرية، هي «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» تغلغلت في النفس فجعلت من ابن الخطاب صاحب الشويهات التي يرعاها بحفنة من تمر يملك أمبراطورية كبرى ويسوسها بالعدل والمساواة حتى شهد له أعداؤه فقال قائلهم: عدلت فأمنت فنمت يا عمر..!!

وتلك الكلمة «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» هي التي صنعت من أفراد المجتمع الجاهلي علماء الإنسانية، وحكماءها، في كل مجالات العلم، والأدب والحضارة.

هذا ويجدر بنا أن نقدم لأمتنا الإسلامية تصوراً عاماً لسبيل نهضتها ومجدها بعد هذه الدراسة الطويلة عن المجتمعات التي تخيلها الفلاسفة، والتي أظهرت بجلاء وموضوعية، أن الإسلام هو حبل الله المتين من اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم، وتحقق له الوعد الإلهي الذي سجله القرآن المجيد في قوله:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيبدِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْد خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِيَ شَيْئاً ﴾[1].

وهذا التصور يكمن فيما يلي:

أولاً: التوحيد والوحدة عنصران أساسيان وركنان رئيسيان لا بديل عنهما لمجتمع الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هذِهِ أُمتُكم أُمةً وَاحِدةً وأنا ربُّكم فاعبدون ﴾[2].

ونحن إزاء ما نعانيه من الزحف الإلحادي، والإنحراف الخلقي والفساد الاجتماعي، والتيارات الآثمة ـ لن تكون هناك وسيلة للخلاص إلاّ أن نعيد الأمة إلى كلمة الحق، كما عرفها المسلمون من منبعها الصافي وهي الدين الخاص «ألاّ لله الدين الخالص».

فلنكن أمام الألوهية في مقام العبودية الضارعة، ولنعلم أن الألوهية فوق كل وهم وخيال، ووحدانية الله في الخلق والأمر هي مركز الدائرة في كل رسالات الوحي إلى البشر.

ونحن في مواجهة الاحتكارات العالمية والكتل الدولية لن تستقيم لنا الحياة إلاّ بالوحدة والتكامل الاقتصادي والبشري، وقد حبا الله المنطقة العربية والإسلامية بخيرات وفيرة وموارد ضخمة تنادي المؤمنين صباح مساء كي تنفحهم بثمراتها المباركة.

ثانياً: حرية الفكر الراشد هي اللواء المرفوع في المجتمع الإسلامي.

والإسلام يوم دعا الناس في مكة لديه مغريات مادية فالحق وحده له سناؤه وصولته، بل لقد رفض منطق المساومة وتخطى موقف الترغيب المادي

---

(١) سورة النور، آية: ٥٥.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٢.

السخي الذي عرضه مشركو مكة، وانحنى التاريخ وهو يستمع لقوله ﷺ «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهرَه الله أو أهلِك دونَهُ».

وقد أحصى القرآن الجدل الذي دار على عهد النبوة إحصاءً دقيقاً وفصل الشبهات تفصيلاً تاماً في الألوهية والوحدانية، والنبوة والرسالة، والبعث والنشور. وكان الشعار المرفوع دائماً: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾.

فالكلمة السواء في الإسلام هي ممارسة الفكر السليم، والمنطق الصحيح لكل ذي قريحة ومن منع النظر مستأهله فقد ظلم، والإسلام لا يخشى البحث العلمي ولا يتوجس من التفكير الفلسفي، بل على العكس يأمر به ويحثّ عليه فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.. وكل ما يرجوه هو حسن الطوية وسلامة القصد واستقامة المنهج.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عنصر اليقظة في مجتمع الإيمان، وصمام الأمان فيه قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1].

وليس الأمر بالمعروفِ والنهي عن المُنكر ـ تسلطاً على رقاب الناس، وإنما هو رحمة ينشرها المسلم بين إخوانه، وأمنية طيبة يرجوها لمواطنيه، ومحبة خير يكنها لهم.. وهو واجب على كل مسلم ومسلمة، يتدرج من العمل على تغيير المنكر باليد إلى إعلان استنكاره بالقول إلى الحزن عليه بالقلب.

رابعاً: الارتقاء الحضاري مرهون بالنقاء العقائدي فالمادية وحدها مرفوضة ولا رهبانية في الإسلام، وتحقيق التقدم العلمي بكل أبعاده وملاحقة التطور التكنولوجي بكل ألوانه ـ واجب شرعي.. فتلك بضاعتنا

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٤.

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

قدمها المسلمون في عصورهم الذهبية للبشرية قاطبة، ولكن علينا أن نفرق بين العلم كتراث إنساني يشترك فيه سائر البشر، وبين التربية أو ثقافة الأمة التي تنبع من قيمها وتقاليدها وتحمل ملامح فلسفتها الخاصة في الكون والحياة والإنسان. . .

خامساً: العمل الجاد السريع لتقنين الشريعة الإسلامية لملاحقة التطور في قضايا المجتمع التي تنتظر حكم الله فيها. . . ومن المعلوم أن شريعة الله منوطة بمصلحة الإنسان وتتوخى اليسر وتستوعب مطالب الحياة بأسرها فهي:

- تنظم ما بين العبد وربه ويسمّى عبادات.
- تنظم ما بين الرجل وزوجته ويسمّى أحوالاً شخصية.
- تنظم ما بين الناس بعضهم بعضاً مما يتعلق بالأموال والحقوق والمنازعات ويسمّى معاملات.
- تنظم ما يتعلق بضبط الأمن العام والحرص على سلامة المجتمع ويسمى عقوبات.
- تنظم ما يتعلق بسيادة الأمة وضمان استقلالها والدفاع عن حماها ويسمّى جهاداً.
- تنظم ما يتعلق بتقويم الخلق والتمسك بالفضيلة ويسمّى آداباً.

سادساً: اللغة العربية يجب أن تنال مكانها ومكانتها بين المسلمين وخاصة غير العرب، فهي ثوب الإسلام الذي اكتساه وطاف به أرجاء العالم، وقد أتى على اللغة العربية عصر ذهبي كانت فيه لغة الحكم والسياسة والعلم والحضارة والأدب والفن. . . وقبل هذا وبعده هي لغة القرآن المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه.

اللّهم انفعنا بالقرآن! وبارك لنا فيه واجعله في نسبي وعقبي إلى يوم الدين.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم.

* * *

المراجع
مرتبة على حسب حروف الهجاء[1]

القرآن الكريم.

ـ أ ـ

١ ـ آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٦ ط السعادة.
٢ ـ آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي، تحقيق د. البير نصري نادر المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٩.
٣ ـ الله في الفلسفة الحديثة، تأليف جيمس كولينز، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب ١٩٧٣.
٤ ـ أفلاطون، تأليف د. عبد الرحمن بدوي، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤.
٥ ـ أفلاطون، تأليف أوجست ديبس، تعريب محمد إسماعيل ط عيسى الحلبي ١٩٤٧.
٦ ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي.
٧ ـ أسس الفلسفة، تأليف توفيق الطويل، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤.
٨ ـ أحلام الفلاسفة، تأليف سلامة موسى.
٩ ـ آفاق القيمة، تأليف رالف بارتن بيري، ترجمة عبد المحسن عاطف سلام، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨.
١٠ ـ أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم تأليف هنري توماس، ترجمة متري أمين، ط دار النهضة العربية ١٩٦٤.

(١) راعيت الحرف الأول فقط بعد تجريد الكلمة من أداة التعريف نظراً لضيق الوقت.

١١ ـ الإسلام فى مفترق الطرق، د. أحمد عروة ترجمة د. عثمان أمين، ط دار الشروق.
١٢ ـ أزمة الفكر السياسى الإسلامي، د. عبد الحميد متولي، ط مُنشأة المعارف بالاسكندرية، الطبعة الثانية.
١٣ ـ الإسلام فى وجه الزحف الأحمر، للشيخ محمد الغزالي ط المختار الإسلامي ١٩٧٥.
١٤ ـ الإسلام والمذاهب الحديثة، فتحي رضوان سلسلة اقرأ (٤١٥).
١٥ ـ الأمير تأليف مكيافللي، ترجمة خيري حماد وتعقيب فاروق سعد بيروت ١٩٧٥.
١٦ ـ الأسس الأخلاقية للماركسية، تأليف أوجين كامنكا ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط دار الآداب ١٩٧١.
١٧ ـ أصول الفلسفة الماركسية، ف ـ ج أفانا سييف ترجمة حمدي عبد الجواد، ط دار الثقافة الجديدة ١٩٧٥.
١٨ ـ اعترافات جان جاك روسو، ترجمة محمد بدر الدين خليل، ، مطبوعات كتابي ١٩٥٧.
١٩ ـ إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، تأليف جان جاك روسو، ترجمة د. نظمي لوقا تقديم أحمد زكي محمد، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٨.
٢٠ ـ الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط، تأليف ولتر لاكور ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين ـ بيروت ١٩٥٩.
٢١ ـ الإسلام والشيوعية، د. عبد المنعم النمر، ط دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٦.
٢٢ ـ الإشتراكية والشيوعية، علي أدهم، المكتبة الثقافية.
٢٣ ـ الإشتراكية، د. أحمد شلبى، ط مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨.
٢٤ ـ الأصول الأفلاطونية (فيدون)، ترجمة وتعليق د. نجيب بلدى وآخرين، ط منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦١.
٢٥ ـ الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، د. يوسف عبد الهادي الشال سلسلة البحوث الإسلامية، ديسمبر ١٩٧٢.
٢٦ ـ الإسلام دستور الحكم، السيد الشوربجي، ط دار التأليف.

٢٧ ـ الأخلاق والسياسة تأليف، أ ـ تيتارنكو ترجمة شوقي جلال، ط دار الثقافة الجديدة.
٢٨ ـ إشتراكية الإسلام، د. مصطفى السباعي، ط نقابة المهن التعليمية ١٩٦٢.
٢٩ ـ أفيون الشعوب المذاهب الهدامة، تأليف عباس محمود العقاد، ط الأنجلو المصرية.
٣٠ ـ أبو ذر الغفارى والشيوعية، للامام الأكبر د. عبد الحليم محمود، ط دار المعارف.
٣١ ـ أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى، د. زيدان عبد الباقي، ط، دار المعارف.
٣٢ ـ الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، تأليف إبراهيم محمد إسماعيل، دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٣٣ ـ أهداف الفلسفة الإسلامية نشأتها وتطورها، د. عبد الدايم أبو العطا الأنصاري ١٩٤٨.
٣٤ ـ أعمال مهرجان ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ١٩٦٢.

ـ ب ـ

٣٥ ـ بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، د. محمد يوسف موسى، ط دار المعارف.

ـ ت ـ

٣٦ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية، تأليف يوسف كرم، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦.
٣٧ ـ تاريخ الأخلاق، د. محمد يوسف موسى، ط دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٣.
٣٨ ـ التربية والحضارة عبد المجيد عبد الرحيم، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧.
٣٩ ـ تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، يوسف كرم، ط دار المعارف.

٤٠ ـ تهافت الفكر المادى التاريخى بين النظر والتطبيق، د. محمد البهي، ط مكتبة وهبة ١٩٧٥.
٤١ ـ التفسير الديني للتاريخ، محمود الشرقاوي، كتاب الشعب.
٤٢ ـ تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ط دار المعارف.
٤٣ ـ تحليل النظام المالي في الإسلام، د. محمود محمد نور ـ دراسات في الإسلام ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٤٤ ـ تاريخ الفلسفة الحديثة، تأليف أ. و. بن ترجمة عبد المجيد عبد الرحيم، ط الأنجلو المصرية ١٩٥٨.
٤٥ ـ تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، تأليف أندريه كريسون، ترجمة نهاد رضا، بيروت ١٩٦٢.
٤٦ ـ تطور الفكر السياسى، تأليف جورج سباين، ترجمة د. راشد البراوي وآخرين، ط دار المعارف.
٤٧ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، د. حسن إبراهيم حسن، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥.
٤٨ ـ تراث الإنسانية، مجموعة تراجم لأهم كتب التراث الإنساني، بأقلام أساتذة متخصصين.
٤٩ ـ تاريخ الفلسفة فى الإسلام، تأليف: ت ـ ج دي بور، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٨.
٥٠ ـ التفكير الفلسفى فى الإسلام، للإمام الدكتور عبد الحليم محمود، ط الأنجلو المصرية.
٥١ ـ تهافت الفلاسفة، للإمام الغزالي تحقيق د. سليمان دنيا، ط دار المعارف.
٥٢ ـ تهافت التهافت، لابن رشد تحقيق د. سليمان دنيا، ط دار المعارف.
٥٣ ـ تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، تأليف محمد لطفي جمعة، مطبعة المعارف ١٩٢٧.
٥٤ ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، للشيخ مصطفى عبد لرازق، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة.
٥٥ ـ تحصيل السعادة للفارابى، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية.
٥٦ ـ التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، ترجمة د. عبد الرحمن بدوى، ط دار النهضة العربية الطبعة الثالثة.

ـ ج ـ

٥٧ ـ جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خبار، ط المقتطف ١٩٢٩.

٥٨ ـ جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة د. فؤاد زكريا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

٥٩ ـ جمهورية أفلاطون، ترجمة نظلة الحكيم ومحمد مظهر سعيد، ط دار المعارف بمصر.

٦٠ ـ جان جاك روسو حياته وكتبه، د. محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥.

٦١ ـ جان جاك روسو وآراؤه فى الإصطلاح الاجتماعى، محمد عطية الإبراشي ـ سلسلة مذاهب وشخصيات ـ الدار القومية للطباعة والنشر.

٦٢ ـ الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى، د. محمد البهي، دار الكاتب العربي بالقاهرة.

ـ ح ـ

٦٣ ـ الحكمة الأفلاطونية، د. عزت قرني، دار النهضة العربية ١٩٧٤.

٦٤ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، كتاب الهلال إبريل ١٩٦٥.

٦٥ ـ حقيقة الشيوعية، علي أدهم، المتكب المصري الحديث.

٦٦ ـ حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردى، تحقيق وتعليق هـ. أحمد أمين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦.

٦٧ ـ الحضارة العربية، د. شكري محمد عياد ـ المكتبة الثقافية ـ إبريل ١٩٦٧.

ـ خ ـ

٦٨ ـ الخصوبة والخلود لأفلاطون في انتاجه، د. محمد غلاب سلسلة مذاهب وشخصيات، ط الدار القومية.

ـ د ـ

٦٩ ـ الدين والحضارة الإنسانية، د. محمد البهي ـ كتاب الهلال ـ ابريل ١٩٦٤.

٧٠ ـ دائرة معارف القرن العشرين، العلامة محمد فريد وجدي.

ـ ر ـ

٧١ ـ روسو حياته ـ فلسفته ـ منتخبات تأليف أندريه كريسون ترجمة نبيه صقر ـ سلسلة زدني علما ـ بيروت.
٧٢ ـ رواد الفكر السياسى الحديث وآثارهم فى عالم السياسة، د. محمد طه بدوي، المكتب المصري الحديث ١٩٦٧.

ـ س ـ

٧٣ ـ السياسة، تأليف أرسطو، ترجمة أحمد لطفى السيد، ط دار الكتب المصرية ١٩٤٧.

ـ ش ـ

٧٤ ـ الشعب والتاريخ ـ هيجل، د. نازلي إسماعيل حسن، ط دار المعارف بمصر.
٧٥ ـ الشيوعية والإسلام، لبيب السعيد، ـ كتب قومية ـ إبريل ١٩٦٠.
٧٦ ـ الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين، تحقيق د. سليمان دنيا، ط عيسى الحلبي.
٧٧ ـ الشفاء لابن سينا، بخط عبد الكريم الشريف ١٣٠٣هـ.

ـ ص ـ

٧٨ ـ الصهيونية العالمية، عباس محمود العقاد، مكتبة غريب ١٩٦٨.

ـ ط ـ

٧٩ ـ الطبيعة وما بعد الطبيعة، يوسف كرم، دار المعارف.
٨٠ ـ الطاقة الإنسانية، أحمد حسين المحامي، مطبعة مصر ١٩٦٢.

ـ ع ـ

٨١ ـ العقد الاجتماعى، تأليف جان جاك روسو، ترجمة عادل زعيتر دار المعارف بمصر ١٩٥٤.

٨٢ ـ العقد الاجتماعي، تأليف لوك وهيوم وروسو ـ ترجمة عبد الكريم أحمد، مراجعة توفيق اسكندر، ط دار سعد، مصر.
٨٣ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة.
٨٤ ـ عبقرية العرب في العلم والفلسفة، د. عمر فروخ، بيروت ١٩٥٢.
٨٥ ـ عالم الأفلاك، د. إمام إبراهيم أحمد، المكتبة الثقافية، يونيو ١٩٦٢.

ـ ف ـ

٨٦ ـ الفكر السياسي الغربي، د. علي عبد المعطى محمد، ط دار الجامعات المصرية سنة ١٩٧٥.
٧٨ ـ الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه، د. محمد البهي، الدار القومية.
٨٨ ـ فلسفة الفكر المالي، د. عبد المنعم فوزي، المكتبة الثقافية.
٨٩ ـ الفهرست، تأليف ابن النديم، المكتبة التجارية الكبرى.
٩٠ ـ الفارابي، تأليف جوزيف الهاشم، بيروت.
٩١ ـ في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د. إبراهيم مدكور، دار المعارف بمصر.
٩٢ ـ الفارابي، تأليف سعيد زايد، دار المعارف.
٩٣ ـ في الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية، د. محمد السيد نعيم، د. عوض الله جاد حجازي، الطبعة الثانية.
٩٤ ـ الفصل في الملل والنحل، لابن حزم تحقيق عبد الرحمن حليفة، ط صبيح سنة ١٣٤٧هـ.
٩٥ ـ فلسفة ابن طفيل ورسالة حي بن يقظان، تأليف وتحقيق د. عبد الحليم محمود، الأنجلو المصرية.
٩٦ ـ الفلسفة ومباحثها مع ترجمة كتاب المدخل إلى الميتافيزيقا، لبرجسون د. محمد علي أبو ريان، دار المعارف.

ـ ق ـ

٩٧ ـ قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين، د. زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٦٦.

٩٨ ـ قصة الحضارة، تأليف ول ديورانت.
٩٩ ـ القرآن والنظم الاجتماعية المعاصرة، د. راشد البراوي، دار النهضة العربية.
١٠٠ ـ قادة الفكر الإسلامي في ضوء الفكر الحديث، د. راشد البراوي، النهضة المصرية سنة ١٩٦٩.
١٠١ ـ قصة الفلسفة الحديثة، د. أحمد أمين، د. زكي نجيب محمود سنة ١٩٣٦.
١٠٢ ـ قراءات في الفلسفة، د. علي سامي النشار، د. محمد علي أبو ريان الدار القومية سنة ١٩٦٧.

ـ م ـ

١٠٣ ـ محاورات أفلاطون، ترجمة د. زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٦٦.
١٠٤ ـ محاورة جورجياس، تأليف أفلاطون ترجمة محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠.
١٠٥ ـ المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، تأليف اندريه كريسون ترجمة د. عبد الحليم محمود، د. أبو بكر زكري، ط عيسى الحلبي سنة ١٩٥٢.
١٠٦ ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وآخرين، الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣.
١٠٧ ـ المذاهب الأخلاقية، د. عادل العوا، الجامعة السورية سنة ١٩٥٩.
١٠٨ ـ المدارس الفلسفية، د. أحمد فؤاد الأهواني، المكتبة الثقافية سنة ١٩٦٥.
١٠٩ ـ من أفلاطون إلى ابن سينا، د. جميل صليبا، دمشق سنة ١٩٥١.
١١٠ ـ مقدمة في الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي، دار النهضة العربية سنة ١٩٧٢.
١١١ ـ مسؤولية الانحلال بين الشعوب والقادة كما يوضحها القرآن الكيم، جمال البنا.
١١٢ ـ المسألة الاجتماعية بين الإسلام النظم البشرية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٧٠.
١١٣ ـ منشأ الفكر الحديث، د. كرين برينتون، ترجمة عبد الرحمن مراد، ط دمشق.
١١٤ ـ الماركسية والإسلام، د مصطفى محمود، دار المعارف.

١١٥ ـ المذاهب الفلسفية المعاصرة، تأليف سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي سنة ١٩٧٣.
١١٦ ـ معالم الفكر الفلسفى فى العصور الوسطى، د. عبده فراج، الأنجلو المصرية، سنة ١٩٦٩.
١١٧ ـ مخطوطات كارل ماركس، ترجمة محمد مستجير مصطفى، دار الثقافة الجديدة.
١١٨ ـ المادية الإسلامية وأبعادها، د. عبد المنعم محمد خلاف، دار المعارف.
١١٩ ـ المذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة، د. محمد غلاب، ط عيسى الحلبي سنة ١٩٤٨.
١٢٠ ـ المذاهب الاجتماعية الحديثة، محمد عبد الله عنان، ط دار الشروق.
١٢١ ـ المجموع للفارابى، مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧.
١٢٢ ـ محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، «الدولة العباسية» محمد بك الخضري، ط عيسى الحلبي سنة ١٩٣٠.
١٢٣ ـ الملل والنحل للشهرستانى، تحقيق محمد سيد كيلانى، ط مصطفى الحلبى.
١٢٤ ـ المعرفة عند مفكري المسلمين، د. محمد غلاب، الدار المصرية للتأليف.
١٢٥ ـ المقدمة لابن خلدون، الطبعة الأزهرية سنة ١٣١١هـ.
١٢٦ ـ منشورات مهرجان الفارابى، بغداد سنة ١٩٧٥.
١٢٧ ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، تحقيق د. محمود قاسم الأنجلو المصرية.
١٢٨ ـ مشكلة الألوهية، د. محمد غلاب، ط عيسى الحلبي.
١٢٩ ـ المواقف، عضد الدين الإيجى مع شرح الشريف، ط الساسي.
١٣٠ ـ المقاصد، سعد الدين التفتازانى، تحقيق د. سليمان خميس.

ـ ن ـ

١٣١ ـ النظرية السياسية عند اليونان، تأليف إرنست باركر ترجمة لويس إسكندر سلسلة الألف كتاب، ط سجل العرب سنة ١٩٦٦.
١٣٢ ـ نظام الحكم في الإسلام، د. محمد يوسف موسى، ط دار الكاتب العربي.
١٣٣ ـ نماذج من الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، ترجمة وتعليق د. حسن حنفي حسنين، ط دار الكتب الجامعية.

١٣٤ ـ النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور وأثر الفكر الإسلامى فيها، د. أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٦.
١٣٥ ـ نيقولا ماكيافللى، ترجمة وتحليل وتعليق محمد مختار الزقزوقي، ط الأنجلو المصرية.
١٣٦ ـ نيتشه، د. عبد الرحمن بدوى، الكويت سنة ١٩٧٥.
١٣٧ ـ نيتشه، د. فؤاد زكريا، دار المعارف.
١٣٨ ـ نيتشه هنرى ليشتنا، تأليف نبرجر، ترجمة خليل الهنداوى، بيروت سنة ١٩٥٤.
١٣٩ ـ النبوات لابن تيمية، المطبعة السلفية.
١٤٠ ـ نظرية الجماعة فى علم الاجتماع، محمد الأنفر، تونس سنة ١٩٧١.

ـ هـ ـ

١٤١ ـ هكذا تكلم زرادشت، تأليف فردريك نيتشه ترجمة فليكس فارس، بيروت.

ـ و ـ

١٤٢ ـ الوحي المحمدى للسيد، محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة.
١٤٣ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.
١٤٤ ـ الوسيط فى تاريخ الفلسفة الإسلامية، للشيخ عبد المتعال الصعيدى، مكتبة الجامعة الأزهرية.

ـ ي ـ

١٤٥ ـ يوتوبيا توماس مور، ترجمة وتقديم د. إنجيل بطرس سمعان، دار المعارف بمصر.
١٤٦ ـ ينابيع الفكر الإسلامى وعوامل تطوره، محمد غلاب ـ دراسات فى الإسلام ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.